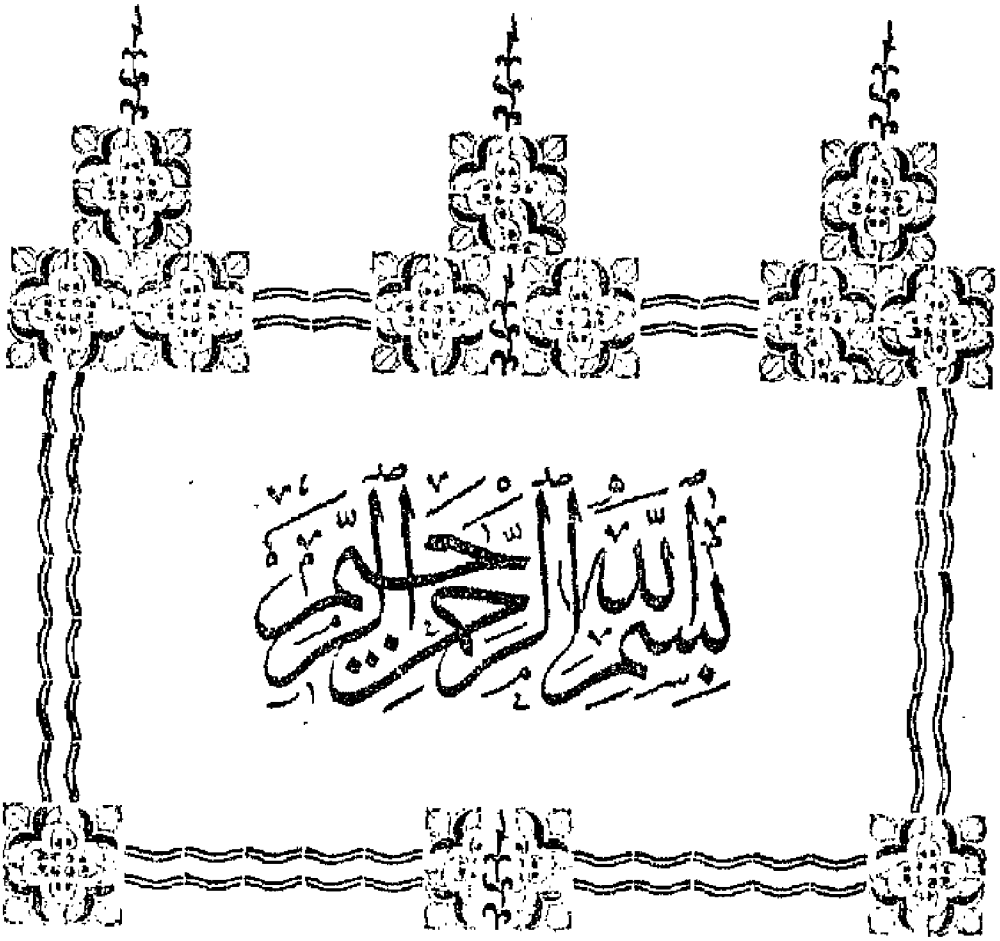

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين

﴿ أما بعد ﴾ ولعلك تقول هذه الآيات التي أوردتها في القسم الثاني تشتمل على أصناف مختلطة من العلوم والاعمال فهل يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملها على وجه من التفصيل والتحصيل يمكن التفكر في كل واحدة منها على حيالها ليعلم الانسان تفصيل أبواب السعادة في العلم والعمل ويتيسر عليه تحصيل مفاتيحها بالمجاهدة والتفكر ﴿ فاقول ﴾ نعم ذلك يمكن فانه ينقسم جل مقاصدها الى علوم وأعمال * والاعمال تنقسم

الى ظاهرة وباطنة * والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهى أربعة أقسام . علوم وأعمال ظاهرة وأخلاق مذمومة تجب التزكية عنها * وأخلاق محمودة تجب التحلية بها * وكل قسم يرجع الى عشرة أصول واسم هذا القسم ﴿ كتاب الأربعين في أصول الدين ﴾ فمن شاء أن يكتبه مفرداً فليكتب فانه يشتمل على زبدة علوم القرآن ﴿ القسم الاوّل ﴾ في جمل العلوم وأصولها وهي عشرة *

﴿ الأصل الاوّل فى الذات ﴾

﴿ فنقول ﴾ الحمد لله الذي تعرف الى عباده بكتابه المنزل على لسان نبيه المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له . فرد لا مثل له . صمد لا ضد له . متوحد لا ند له . وأنه قديم لا أوّل له . أزلي لا بداية له . مستمر الوجود لا آخر له . أبدىّ لا نهاية له . قيوم لا انقطاع له . دائم لا انصرام له . لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآماد وانقراض الآجال . بل هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم *

﴿ الاصل الثاني في التقديس ﴾

وأنه ليس بجسم مصور . ولا جوهر محدود مقدر . وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام . وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجوداً . ولا يماثله موجود . وليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ * وانه لا يحده المقدار . ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه السموات . وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء * بل هو رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد . وهو على كل شئ شهيد * اذلا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام * وأنه لا يحل

في شئ ولا يحل فيه شئ . تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان . وهو الآن على ما عليه كان . وانه باين بصفاته من خلقه ليس فى ذاته سواه ولا في سواه ذاته * وأنه مقدس عن التغيير والانتقال لا تحله الحوادث . ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال * وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال * وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم *

﴿ الاصل الثالث فى القدرة ﴾

وأنه حيّ قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم . ولا يعارضه فناء ولا موت . وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت . له القدرة والسلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه . والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المتفرد بالخلق والاختراع . المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته

مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور . لايحصى مقدوراته ولا يتناهى معلوماته *

﴿ الاصل الرابع فى العلم ﴾

وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري فى تخوم الارضين الى أعلى السموات . لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جوّ الهواء . ويعلم السر وأخفى . ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالتحوّل والانتقال *

﴿ الاصل الخامس في الارادة ﴾

وأنه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلايجرى في الملك والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير *خير أوشر نفع أو ضر * ايمان أو كفر . عرفان * أو نكر . فوز أو خسر زيادة أو نقصان . طاعة أو عصيان . الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيته فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن . لايخرج عن مشيته

لفتة ناظر ولا فلتة خاطر * بل هو المبدئ المعيد . الفعال لما يريد لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه . ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركو في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عن ذلك * وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريداً في أزله لوجود الاشياء في أوقاتها التى قدرها * فوجدت في أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولا تأخر * بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير * دبر الامور بلا ترتيب أفكار وتربص زمان فلذلك لا يشغله شأن عن شأن *

﴿ اعلم ﴾ ان هذا المقام مزلة الاقدام . ولقد زلت فيه أقدام الاكثرين لان تمام تحقيقه مستمد من تيّار بحر عظيم وراء بحر التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدال * ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما ضل قوم بعد هدى الا أوتوا الجدل ﴾ ويستدلون بآيات القرآن مأولين وليسوا من أهل

التأويل ولو نال كل واحد مقام التأويل لما قال صلى الله عليه وسلم داعيا لابن عباس رضى الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . ولما قال يعقوب ليوسف على نبينا وعليهما السلام ﴿ كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ﴾ قال صاحب الكشاف فى تفسيرها يعني معاني كتب الله وسنن الانبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها . وتدلهم على مودعات حكمها * وانما زلت أقدام الاكثرين في هذا المقام لانهم يتبعون الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم * وهؤلاء ليسوا براسخين فيه بل هم قاصرون عاجزون فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا الامر . فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمراته بلجام المنع مع سائر القاصرين . فقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر . فغضب عليه السلام حتى احمرّ وجهه الشريف . فقال أبهذا أمرتم أم

بهذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر . عزمت عليكم عزمت عليكم فى هذا الامر ان لا تنازعوا فيه * وعن أبي جعفر قال قلت ليونس بن عبيد مررت بقوم يختصمون فى القدر . فقال لو همتهم ذنوبهم ما اختصموا فى القدر . وامتلأ مشكاة بعضهم نوراً مقتبسا من نور الله . وكان زيتهم صافيا حتى يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فاشتعل نوراً على نور فاشرقت أقطار الملكوت بين أيدهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه . فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا — فلذلك أمسك عمر لما سئل عن القدر فقال للسائل بحر عميق لا تلجه . ولما كرر السؤال فقال طريق مظلم لا تسلكه . ولما كرر ثالثا . فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه . ومن أراد معرفة أسرار الملكوت فليلازم بابهم بالمحبة والاخلاص والصدق والاعراض عن أعدائهم . والامتثال باوامرهم والسعي فيما يرضيهم — وكذلك من أحب معرفة أسرار الربوبية فليلازم باب الله عز وجل بالمحبة والاخلاص والصدق والتعظيم والحياء والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المعاصي

والمجاهدة والاقبال بكنه الهمة والتعرض لنفحاته لقوله عليه السلام ان لربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها والسعي فيما يرضي وان لم يطق ذلك فعليه أن يعتقد في هذا البحث ما عليه أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه . حيث قالوا احداث الاستطاعة في العبد فعل الله . واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازاً ﴿ والقدرية ﴾ انكروا قضاء الله ورأوا الخير والشر من أنفسهم أرادوا بذلك تنزيه الله عن الظلم وفعل القبيح * ولكنهم ضلوا اذ نسبوا العجز الى الله تعالى في ضمن ذلك ولم يدروا ﴿ والجبرية ﴾ اعتمدوا على القضاء ورأوا الخير والشر من الله ولم يروا من أنفسهم فعلا كما لم يروا من الجمادات أرادوا بذلك تنزيه الله تعالى عن العجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه تعالى في ضمن ذلك وأضلوا سفهائهم . فكانوا يمصون الله وينسبون الى الله ويبرؤن أنفسهم عن الذم واللوم كالشيطان حيث قال * فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ﴿ فالحاصل أن القدرية ﴾ أثبتوا الاختيار الكلي للعبد في جميع أفعال العباد وأنكروا قضاء الله تعالى وقدره بالكلية في الافعال الاختيارية ﴿ والجبرية ﴾ نفوا

الاختيار بالكلية في أفعال العباد واعتمدوا على القضاء والقدر فينبغي للباحث معهم أن يضرب بهم ويمزق ثيابهم وعمايمهم ويخدش وجوههم وينتف أشعارهم وشواربهم ولحاهم ويعتذر بما اعتذر هؤلاء السفهاء في سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم ﴿ والمعتزلة ﴾ أضافوا الشر فقط الى أنفسهم. وأثبتوا لانفسهم الاختيار الكلي تحرزاً عن نسبة القبح والظلم الى الله ولكن نسبوا الى الله العجز في ضمن ذلك ولم يدروا *فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿ وأما أهل السنة ﴾ والجماعة فتوسطوا بينهم فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكلية ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية. بل قالوا أفعال العباد من الله من وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في ايجاد أفعاله*

﴿ واعلم ﴾ أن قضاء الله تعالى على أربعة أوجه قضاء الطاعات وقضاء المعاصي وقضاء النعم وقضاء الشدائد *والمذهب المستقيم في ذلك اذا قضى للعبد الطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد والاخلاص حتى يكرمه الله بالتوفيق والهداية لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك

واذا قضى المعصية فعليه أن يستقبله بالاستغفار والتوبة والندامة من صميم الفؤاد لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) واذا قضى النعمة فعليه أن يستقبله بالشكر والسخاء حتى يكرمه بالزيادة لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) واذا قضى الشدة فعليه أن يستقبله بالصبر والرضاء حتى يعطيه الكرامة في الدار الآخرة لقوله تعالى (ان الله يحب الصابرين) وقال (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وذكر الفاضل الامام مولانا علاء الدين في شرحه للمصابيح * الفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ اجمالا لا تفصيلا * والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الخارجية واحدا بعد واحد * وقيل القضاء هو الارادة الأزلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص . والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في أوقاتها الخاصة * ثم ان المسلمين في القدر على اختلاف *

﴿منهم﴾ من ذهب الى ان كلّ ما يجري في العالم من الخير والشرّ والأفعال والأقوال بقضاء الله وقدره ولا اختيار للعباد فيه

ويسمى هـذا القوم جـبرية * والجـبر هو القهر والاكراه فيقولون اجبر الله عباده على أقوالهم وأفعالهم من غير اختيار منهم فيهـا * ويزعمون ان اضافتها اليهم اضافتها الى الجمادات في مثل قولنا دارت الرحا وجرى الميزاب * وهـذا المذهب باطـل لانهم ان قالوا هـذا القول ليسقطوا من أنفسهم التكاليف * وشبهوا أنفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان الخطاب بهم . فقد كفروا لأن مـذهبهم يفضي الى ابطال الـكتب والرسل وان قالوا ذلك لتعظيم الله وتحقـير أنفسهم وعجزهم عن دفع قضاء الله . فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ﴿ ومنهم ﴾ من ذهب الى ان كل مايصدر عن العباد عقيب قصدهم وارادتهم يكون واقعا بقدرتهم واختيارهم ولا يتعلق بهـا بخصوصها قدرة الله وارادته * ويسمى هؤلاء قـدرية لنفيهم القدر لا لاثباتهم — وهذا المذهب أيضاً باطل لانهم ان قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز العجز عن التقدير لله تعالى فهم كافرون * تعالى الله عن ذلك عـلوا كبيراً * وان قالوا عن خطأ اجتهاداتهم وتـنزيه الحق عن تقدير أفعالهم القبيحة

وخلفها * فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ﴿ومن هذه الطائفة﴾ من يقول الخير بتقدير الله والشر ليس بتقديره (والمذهب الحق) هو ان المؤثر مجموع القدرتين قدرة الله وقدرة العباد * فالافعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره * ولكن للعباد اختيار . فالتقدير من الله والكسب من العباد — وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر * وعليه اهل السنة والجماعة انتهى كلامه وذكرنا ﴿في كتاب المقصد الاقصى﴾ تدبير رب الارباب ومسبب الاسباب اصل وضع الاسباب ليتوجه الي المسببات حكمه ونصبه الاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التى لا تزول ولا تحول كالارض والسموات السبع والكواكب والافلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم الى ان يبلغ الكتاب أجله . قضاؤه كما قال فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها . وتوجيهه هذه الاسباب بحركاته المناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى مسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة قدره * فالحكم هو التدبير الاول الكلي والامر الازلي الذي هو كلمح البصر ﴿والقضاء﴾ هو الوضع

الكلي للاسباب الكلية الدائمة ﴿ والقدر ﴾ هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص — ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره * ولا تفهم ذلك الا بمثال ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تعرف أوقات الصلوات وان لم تشاهده . فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما . وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود احد طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم تثقب اسفل الآلة الاسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا * فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس الى أن ينتكس فيتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن

وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة * وانما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه — وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم . ويكون انخفاض اعلى الماء بذلك المقدار وبه يتقدر * وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة * وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة أخرى . ويكون الحركة الاخرى سبباً لحركة ثالثة — وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم . فاذا تصورت هذه الصورة ﴿ فاعلم ﴾ ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور ﴿ أولها ﴾ التدبير وهو الحكم بانه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل . وذلك هو الحكم ﴿ والثاني ﴾ ايجاد هذه الآلات

التي هى الأصول * وهي الآلة الاسطوانية لتحوى الماء والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والظرف الذى فيه الكرة والطاس الذى تقع فيه الكرة — وذلك هو القضاء ﴿ الثالث ﴾ نصب سبب بوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب اسفل الآلة ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة فى الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله * ثم الى حركة الالة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله * ثم الى حركة الخيط * ثم الى حركة الظرف الذي فيه الكرة * ثم الى حركة الكرة * ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع * ثم الى الطنين الحاصل منها * ثم الى تنبيه الحاضرين واستماعهم * ثم الى حركاتهم في الاشتغال بالصلوات والأعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة * وكل ذلك يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الاولى . وهى حركة الماء * فاذا فهمت ان هذه الآلات اصول لابد منها للحركة * وان الحركة لابد من تقدرها ليتقدر مايتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدر التى لايتقدم منها شىء

ولا يتأخر اذا جاء أجلهم أى حضر سببها * وكل ذلك بمقدار المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا * فالسموات والأفلاك والكواكب والأرض والبحر والهواء وهذه الأجسام العظام فى العالم كتلك الآلات * والسبب المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم كتلك الثقبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم * وافضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث فى الارض كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعرّفة لانقضاء الساعة * ومثال تداعى حركات السماء الى تغيير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق فاستضاء العالم وتيسر على الناس الابصار * فيتيسر عليهم الانتشار فى الأشغال * فاذا بلغ المغرب تعذر عليهم ذلك فيرجعوا الى المساكن * واذا قربت من وسط السماء وسامتت رؤس أهل الأقاليم حمي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه * واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد * واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت

الارض وظهرت الخضرة * وقس بهذه المشهورات التي تعرفها الغرايب التي لاتعرفها * فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾ اى حركتهما بحساب معلوم — فهذا هو التقدير * ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم * وكما ان حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشية واضع الآلة * بل ذلك هو الذي اراد بوضع الآلة — فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير خارج عن مشية الله تعالى * بل ذلك مراد الله تعالى ولأجله دبر اسبابه * وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير * ولكن المقصود من الامثلة التنبيه * فدع المثال وتنبه للغرض * واحذر من التمثيل والتشبيه *

﴿ الاصل السادس في السمع والبصر ﴾

وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي * ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق * ولا يحجب

سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام * يرى من غير حدقة ولا أجفان ويسمع من غير أصمخة ولا آذان كما يعلم من غير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذلا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق *

* الاصل السابع في الكلام *

وأنه متكلم آمر ناهي واعد متوعد بكلام أزلي قديم * قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام . ولا حرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان . وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله . وأن القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله سبحانه من غير جوهر ولا شكل ولا لون ولا عرض * واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما

بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات

﴿ الاصل الثامن فى الأفعال ﴾

وأنه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه واكملها وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم في أفعاله . عادل فى أقضيته . لا يقاس عدله بعدل العباد . اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى سبحانه فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما . فكل ماسواه من انس وجن وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاء بعد ان لم يكن شيئاً اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره . فاحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته (وهى قوله كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف) لا لافتقاره اليه ولا لحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام

والإصلاح لا عن لزوم * فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب * ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما . وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والعدل لا بحكم الاستحقاق واللزوم . اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد العقل * ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده * فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به *

﴿ الاصل التاسع في اليوم الآخر ﴾

وأنه يفرق بالموت بين الارواح والاجسام ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور * فيرى كل مكلف ما عمله من خير أو شر محضراً ويصادف دقيق ذلك وجليه مسطراً * في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها * ويعرف كل واحد مقدار عمله

خيره وشره بمعيار صادق يعبر عنه بالميزان وان كان لا يساوي ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كما لا يساوي الاصطرلاب الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير والعروض الذي هو ميزان الاشعار سائر الموازين * ثم يحاسبهم على أفعالهم وأقوالهم وسرائرهم وضمائرهم ونياتهم وعقائدهم مما أبدوه أو أخفوه . فانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب * وانهم يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء ومنازل السعداء . أحدّ من السيف . وأدق من الشعر . يخفّ عليه من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازيه في الخفاء والدقة ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الا من عفى عنه بحكم الكرم * وأنهم عند ذلك يسئلون فيسئل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ومن شاء من المبتدعة عن السنة * ومن شاء من المسلمين عن أعمالهم . فيسئل الصادقين عن صدقهم . والمنافقين عن نفاقهم * ثم يساق السعداء الى الرحمن وفدا * والمجرمون الى جهنم

وردا * ثم يأمر باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء * ومن له رتبة الشفاعة * ثم يستقرا أهل السعادة فى الجنة منعمين أبد الآبدين . ممتعين بالنظر الى وجه الله تعالى * ويستقر أهل الشقاوة فى النار مرددين تحت أنواع العذاب . مبعدين عن النظر بالحجاب الى وجه الله تعالى ذي الجلال والاكرام *

﴿ الاصل العاشر فى النبوة ﴾

وأنه تعالى خلق الملائكة وبعث الانبياء . وأيدهم بالمعجزات وأن الملائكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأن الانبياء رسله الى خلقه . وينتهى اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحي يوحى لا عن الهوى * وأنه بعث النبيّ الاميّ القرشيّ محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع . وجعله سيد البشر

ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد . وهو قوله لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول * وهو قوله محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به عنه في أمر الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والاقتداء به فقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فلم يغادر شيئا يقربهم من الله سبحانه الا أمرهم به ودلهم على سبيله . ولا شيئا يقربهم الى النار ويبعدهم عن الله تعالى الا نهاهم عنه وعرفهم طريقه . وان ذلك أمور لا يرشد اليها مجرد العقل والرأي والذكاء بل هي اسرار يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الانبياء . والحمد لله على ما أرشد وهدى وأظهر من أسمائه الحسنى * وصفاته العليا * والصلاة والسلام على محمد المصطفى خاتم الانبياء وعلى آله وأصحابه وسلم كثيرا آمين يارب العالمين *

﴿ خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن أعني جمل ما يتعلق منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي لا بد أن ينطوي عليها قلب كل مسلم بمعنى أنه يعتقده ويصدق به

تصديقا بجزما ووراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان ﴿أحداهما﴾ معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على اسرارها ﴿والثانية﴾ معرفة أسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعاً ليستا واجبتين على جميع العوام * أعني ان نجاتهم في الآخرة غير موقوفة عليهما . ولا فوزهم موقوف عليهما * وانما الموقوف عليهما كمال السعادة * وأعني بالنجاة الخلاص من العذاب وأعني بالفوز الحصول على أصل النعيم * وأعني بالسعادة نيل غايات النعيم * فالسلطان اذا استولى على بلدة وفتحها عنوة * فالذي لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان أخرجه عن البلدة * والذي لم يعذبه ومع ذلك مكنه من المقام في بلدته مع أهله وأسباب معيشته فهو مع ذلك فائز بالنجاة * والذي خلع عليه وأشركه في ملكه واستخلفه في مملكته وأمارته فهو مع النجاة والفوز سعيد * ثم زيادة درجات السعادات لا تنحصر * واعلم أن الخلق في الآخرة ينقسمون الى هذه الاصناف بل الى أصناف اكثر منها * وقد شرحنا ما امكن من شرحها في كتاب التوبة فاطلبه فيه ﴿والرتبة الاولى﴾ من الرتبتين وهي معرفة أدلة هذه العقيدة * وقد أودعناها الرسالة

القدسية في قدر عشرين ورقة * وهي أجد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الاحياء * وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تأنق في ايراد الاسئلة والاشكالات * فقد أودعناها ﴿ في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ﴾ في مقدار مائة ورقة فهو كتاب مفرد برأسه يحوي لباب علم المتكلمين . ولكنه أبلغ في التحقيق وأقرب الى قرع أبواب المعرفة من الكلام الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين * وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى المعرفة * فان المتكلم لا يفارق العامي الا في كونه عارفا وكون العامي معتقداً بل هو أيضاً معتقد عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد ويستمره ويحرسه عن تشويش المبتدعة ولا تنحل عقيدة الاعتقاد الى انشراح المعرفة * فان أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة صادفت منها مقداراً يسيراً مثبوتاً في كتاب الصبر والشكر . وكتاب المحبة وباب التوحيد من أول كتاب التوكل وجملة ذلك من كتاب الاحياء . وتصادف منها قدراً صالحاً يعرفك كيفية قرع باب المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني

أسماء الله الحسنى — لا سيما في الاسماء المشتقة من الافعال وان أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمجة ولا مراقبة. فلا تصادفه الا في بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها * وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتشرئب لطلبه . فتستهدف للمشافهة بصريح الرد الا أن تجمع ثلاث خصال ﴿ احداها ﴾ الاستقلال في العلوم الظاهرة ونيل رتبة الامامة فيها ﴿ والثانية ﴾ انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق . ولا اهتمام الا به . ولا شغل الا فيه ولا تعريج الا عليه * ﴿ والثالثة ﴾ أن يكون قد أتيح لك السعادة في أصل الفطرة بقريحة صافية وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم ومشكلاتها على سبيل البديهة والمبادرة فان البليد اذا أتعب خاطره واكد نفسه ربما أدرك بعض الغوامض أيضاً ولكن يدرك منها شيئا يسيرا في مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس المعرفة الحقيقية الا قلب صاف كأنه مرآة مجلوة . وانما يصير كذلك بقوة الفطرة وصحة القصد * ثم بازالة كدورات الدنيا عن

وجهه فانه الرين والطبع الذي يمنع الله به القلوب عن معرفته وأن الله يحول بين المرء وقلبه * ﴿القسم الثاني في الاعمال الظاهرة﴾ وهي عشرة أصول *

﴿ الاصل الاول في الصلاة ﴾

قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وقال النبي عليه السلام الصلاة عماد الدين * واعلم أنك في صلاتك مناج ربك فانظر كيف تصلي * وحافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة المحافظين على الصلاة والمقيمين لها فان الله تعالى انما يأمر بالاقامة ويقول ﴿أقم الصلاة وأقيموا الصلاة﴾ وليس يقول صل أو صلوا * ويثني على المحافظين على الصلاة فيقول (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) * ﴿ الاول ﴾ المحافظة على الطهارة بان يسبغ الوضوء قبل الصلاة واسباغها أن يأتي بجميع سننها وأذكارها المروية عند كل وظيفة منها ويحتاط أيضا في طهارة ثيابه وطهارة بدنه وطهارة الماء الذي يتوضأ به احتياطا لا ينفتح عليه باب الوسواس فان الشيطان يوسوسه في الطهارة فيضيع اكثر أوقات العبادة *